خامساً ـ إن فتح ـ يؤيدها ويضغط عليها من أجل ذلك جل حلفائها الفلسطينيين وعدد من حلفائها العرب ومؤيديها الدوليين ، ويحفزها الحرص على الوجه الديمقراطي للحركة الوطنية الفلسطينية ـ تمسكت بضرورة استمرار الحوار بين المنظمات والقوى الفلسطينية من أجل صياغة برنامج مشترك لعملها المقبل .

يقابل ذلك على الصعيد الآخر أن منطق الرفض برمته ، الذي كان قد تعرض لاهتزاز كبير منذ أيلول ١٩٧٠ (أي في الوقت الذي كانت فيه المنظمات الفدائية كافة تقف في صف الرفض) تعرض لهزة أخرى كبيرة بسبب حرب تشرين ، وذلك أمام الرأي العام الفلسطيني والعربي ، مما أضعف العديد من مرتكزاته الأساسية . فقد دخلت جيوش مصر وسوريا حرباً ابتدأتها هي ضد قوات العدوان الاسرائيلي ، جند لها البلدان كل ما أمكن أن يجمعاه من طاقاتهما طيلة السنوات الممتدة بين ١٩٦٧ و١٩٧٣ وحصيلة المعونات التي تلقياها ، وساهمت في اسنادهما فيها كل دولة عربية بما أتاحت لهاظروفهاوسياساتها . وبدا كأن الدول العربية تفعل في ذلك الوقت أقصى ما تستطيع فعله من أجل التحرير ، ثم جاءت المحصلة : نتائج متوازنةلم يمكن، برغم التضحيات الكبيرة ، الحصول على أفضل منها ، وأهم تلك النتائج انفتاح الباب أمام تسوية معقولة . ولم يعد بـمقدور الرفض أن يقول بعد ذلك : انتظروا الحرب الأخرى الطويلة الأمد ، وأن يجد انصاراً عديدين . والأهم من هذا أنه لم يعد قادرا على اقناع العديد من أوساط الرأي العام برفض فرصة لاحت ممكنة ، في الحصول على مكاسب ملموسة ثمناً للجهود والتضحيات التي بذلت ، تحت دعوى الانتظار الطويل للفوز بالجائزة الكبرى وحدها .

وكذلك فان الدور الذي رآه الرأي العام المفتوح العيون أيام الحرب ، الدور الذي قامت به الجيوش النظامية ، والحجوم المذهلة لفعاليتها ، قد زعزع واحدة من مقولات الرفض الأساسية حول أدوار الجيوش النظامية ، وبين خطل أفكار كثيرة كان الرفض يبني عليها دعوته ، وأظهر للرأي العام أن اسرائيل ، إذا كانت قد صمدت ازاء هجمة جيوش نظامية لها ذلك الحجم ، الذي لا يمكن مضاهاته بحجم العمل الفدائي الفلسطيني ، من القدرات والتسليح من غير أن تنهار أو حتى من غير أن تتراجع لأكثر من بضع كيلو مترات في سيناء ، فأي عدد من السنين يقتضي الأمر مرورها حتى تتوفر ظروف أخرى مواتية لزحزحتها بضع كيلو مترات أخرى على أساس الدعوة لحرب الشعب طويلة الامد . ووفق أي منطق ينبغي تأجيل الحصول على ما هو ممكن الى أن تتوفر ظروف ، لا يبدو معظمها قائماً ، من أجل حرب كهذه الحرب ؟

يضاف الى كل ما تقدم أن قوة الرفض العسكرية ، في حسابات القوى الفلسطينية ذاتها ، كانت متواضعة بالمقارنة مع قوة الآخرين ، مما أفقده ، وهو يدعو لحرب الشعب طويلة الأمد ، القدرة على أن يقدم النموذج المقنع .

ومهما يكن من أمر فان مؤسسات منظمة التحرير شهدت بدورها أصداء الحوار المحتدم على امتداد الساحة الفلسطينية كلها ، وانشغلت بها على نحو مستمر اجتماعات اللجنة التنفيذية والمجلس المركزي للمنظمة . وتلقت اللجنة التنفيذية مذكرة قدمتها اليها كل من فتح والجبهة الديمقراطية والصاعقة لخصت موقفها من المسألة المثارة . وبدا في وقت من الأوقات كأن التكتل الذي تكون من المنظمات الثلاث حزم أمره ، وقرر أن يسير وحده ويتحمل مسؤولية